مظاهر الشرك

# الشرك في عصر الجاهلية

عبيد الله الباقي
الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة

(الحلقة الثانية)

**٢ - ادّعاء علم الغيب لغير الله تعالى:**

**أ- الكهانة والعرافة:**

فالكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: هو الذي يخبر عما في الضمير(١).

وأما العراف فهو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم"(٣).

وعلى ذلك: فكل من ادعى معرفة شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن أو مشارك له في المعنى فيلحق به(٤).

وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصا في العرب لانقطاع النبوة فيهم(٥)، ولما بعث النبي ﷺ، وحرست السماء بالشهب، ومنعت الجن ومردة الشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة؛ بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق عزَّ وجلَّ به بين الحق والباطل(٦)، وجعل النبي ﷺ تصديقهم كفرًا، فقال: «من

(١) ينظر: فتح المجيد (ص:٣١٦).
(٢) ينظر: شرح السنة (١٢/ ١٨٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).
(٤) ينظر: فتح المجيد (ص:٣١٧).
(٥) فتح الباري (١٠/ ٢١٧).
(٦) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ١٨)، ولسان العرب (١٣/ ٢٦٣).

أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم»(١).

**والحاصل**: أن إتيان الكهان والعرافين ومن على شاكلتهم وتصديقهم شرك بالله في الربوبية.

**ب- تصديق المنجمين:**

"التنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو معناه"(٣).

وكان علم التنجيم رائجًا عند العرب في الجاهلية، كما قال الشهرستاني: "اعلم أن العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة أنواع من العلوم: ...وأما النوع

(١) سنن أبي داود (ح: ٣٩٠٤)، وجامع الترمذي (ح: ١٣٥)، وسنن ابن ماجه (ح: ٣٣٩)، ومستدرك الحاكم (ح:١٥)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه، ينظر: المستدرك على الصحيحين (١/ ٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).

الثالث، فهو علم الأنواء، وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم"(٤).

وعلم التنجيم من العلوم التي يطلب فيها الإخبار عن المغيبيات(٥)؛ المغيبيات(٥)؛ فالاستدلال بصناعته على الحوادث الأرضية محرم بإجماع المسلمين(٦)؛ لأنها تتضمن دعوى مشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به عزَّ وجلَّ، قال السعدي -رحمه الله-: "إن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما أو صدق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله"(٧).

**والحاصل**: أن علم التنجيم الذي يستدل به على الحوادث الأرضية شرك بالله عزَّ وجلَّ في الربوبية؛ لما فيها من اعتقاد أن النجوم تنفع وتضر، ولما فيها من ادعاء علم الغيب الذي ينفرد به

(٤) الملل والنحل (٣/ ٨٣ – ٨٥).

(٥) ينظر: زاد المعاد (٥/ ٦٩٧).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٧).

(٧) القول السديد (ص: ١١٢).

الرب جل وعلا؛ وهو عالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.

**ج- الاستسقاء بالأنواء:**

نوأ: أي: نهض بجهد ومشقة، وقيل: أثقل فسقط، فهو من الأضداد.

ومعنى مطرنا بنوء كذا، أي مطرنا بطلوع نجم وسقوط آخر، قال: والنوء على الحقيقة سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق.

وكانت العرب تزعم أن ذلك المطر الذي جاء بسقوط نجم هو فعل النجم، وكانت تنسب المطر إليه، ولا يجعلونه سقيا من الله، وإن وافق سقوط ذلك النجم المطر يجعلون النجم هو الفاعل(١)، قال الشهرستاني: "ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول: مطرنا بنوء كذا"(٢).

فقول القائل: "مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا" عند العرب في الجاهلية هو اعتقاد منه أن النجم له تأثير في إنزال المطر، ولا شك أن هذا شرك بالله عزَّ وجلَّ في الربوبية(٣).

**د- الاستقسام بالأزلام:**

الاستقسام: مأخوذ من القسم، وهو النصيب، كأنه طلب النصيب(٤).

والأزلام: جمع زَلَم وزُلَم، وهي القداح التي كانت العرب في الجاهلية يضربون بها على الميسر ويستقسمون بها، قال ابن فارس: "فالأصل الزَلَم والزُلَم: قدح يستقسم به، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، وحرم ذلك في الإسلام، بقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣] "(٥).

فكانت العرب في جاهليتها تستقسم

---

(١) ينظر: لسان العرب (١/ ١٧٤ – ١٧٧٩).

(٢) الملل والنحل (٣/ ٨٢).

(٣) ينظر: فتح المجيد (ص: ٣٤٧).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص:٦٧٠).

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ١٨).

بالأزلام، ويدل على ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله والله! إن استقسما بالأزلام قط»(١).

ويدل على هذا النوع من الشرك أيضا قصة عبد المطلب عندما نذر أن يذبح أحد أبنائه إن ولد له عشرة(٢).

وكانت طريقتهم في ذلك: إذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا ونحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام، وكانت عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب "افعل"، وعلى الآخر "لا تفعل"، والثالث غفل ليس عليه شيء، ومن الناس من قال: مكتوب على الواحد "أمرني ربي"، و على الآخر "نهاني ربي"، والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله، أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد(٣).

**والحاصل**: أن "المشركين لم يكونوا ليعولوا على أخذ الرأي والمشورة من كهانهم فحسب، بل كانوا أيضًا يأتون الأصنام وبيوت الأوثان مستقسمين عندها بالأزلام من أجل الوقوف على رأيها، ومن أجل معرفة الأمور الغيبية والاطلاع على مكنونات الضمائر والأسرار"(٤).

**المسألة الرابعة: اعتقاد مشرع غير الله في التحليل والتحريم:**

وقد وقعت العرب في جاهليتها في الشرك بإعطاء حق التشريع والتحليل والتحريم والحكم لغير الله عزَّ وجلَّ(٥) كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} (ح:٣٣٥٢).
(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٤٠).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ١٢)، وتفسير ابن كثير (٩/ ٥١٠).
(٤) ينظر: الشرك الجاهلي وآلهة العرب المعبودة قبل الإسلام (ص: ٦٧).
(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٨٩، ١١/ ٥٨٣، ١١/ ٦٣١، ٢٠/ ١٩٨).

ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أنهم وقعوا في شرك التشريع والتحليل والتحريم؛ ولهذا عاب الله على المشركين أنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله(١).

فالحُكم والحَكم من صفات الله عزَّ وجلَّ، وأن التشريع والتحليل والتحريم حق خالص لله جل وعلا، ف"الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله"(٢)، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم وإليه الحكم»(٣)، وقد أشرك أهل الجاهلية بالله في هذا الحق العظيم؛ فعاب عليهم بأنهم حرموا ما لم يحرمه الله وأنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله تعالى(٤).

**خلاصة القول:**

أن أصل الإقرار بوجود الله تعالى والاعتراف به مستقر في قلوب الخلق جميعًا(٥)، ولذلك كان أهل الجاهلية يعتقدون وجود الله وربوبيته في الجملة، ولكن حصل من بعضهم الشرك في

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٩٨، ١١/ ٦٣١).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٣٨٨).
(٣) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في تغيير الاسم القبيح (ح: ٤٩٥٥)، السنن الكبرى للنسائي - كتاب القضاء - إذا حكموا رجلا ورضوا به فحكم بينهم (ح: ٥٩٠٧)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (ح:٨/ ٢٣٧).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٥٧).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢).

بعض خصائص الربوبية، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، قال الشيخ محمد أمين الشنقيطي -رحمه الله-: "صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الكفار يقرون بأنه جل وعلا، هو ربهم الرزاق المدبر للأمور المتصرف في ملكه بما يشاء، وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جل وعلا"(١).

***

(١) أضواء البيان (٢/ ١٥٤).